مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية
المجلد 14، العدد 2، (السداسي الأول 2022م)، ص. 397 – 416

أصول النّحو والاحتجاج بالقراءات
-سيبويه (ت180هـ) أنموذجًا-
The origins of grammar and protesting the readings
– Sibawayh (d. 180 AH) as a model –

ويزة أعراب*
المجمع الجزائري للّغة العربيّة، emailprof77@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/11/28 تاريخ القبول: 2022/05/16 تاريخ النشر: 2022/06/30

ملخص:
لقد استنبط النُّحاة القواعد النّحوية عن طريق استقراء القراءات المختلفة للقرآن الكريم، وكلام العرب، ويعتبر الكتاب لصاحبه سيبويه (ت180هـ) قرآن النّحو، فما مكانة القراءات عند إمام النُّحاة سيبويه؟ وما مدى صحة حجج من انتقدوه؟! حيث يعتبر القياس والسّماع من أهم الأدلة النّحوية التي اعتمدها النُّحاة للنَّظر في القراءات فما وافق أيّ منهما اتفقوا عليه واحتجوا به، وأما ما خالفهما فقد اختلفت آرائهم بين الرَّفض والقبول، فاختلاف القراءات واللّهجات من أهم العوامل الّتي أدَّت إلى الخلاف النّحوي. ومن أهم أسباب تعدُّد القراءات القرآنية التَّنوع لا التَّضاد، ورغم هذا الاختلاف في القراءات وتنوُّعه، فلا نجد تناقُض، ولا تَخالُف في القرآن الكريم، وما هذا إلا آية من آيات الرحمان في الكون، وعليه فقد صدق سيبويه في قوله:" إلاَّ أنّ القراءة لا تُخالَفُ لأنّها السُّنَّةُ..."، رغم أنَّ الكثير من النُّحاه قد أساءوا فهمه.

الكلمات المفتاحية: أصول النّحو؛ الاحتجاج بالقراءات؛ موقف اللّغويون من سيبويه؛ التَّوجيه النّحوي.

* المؤلف المرسل

Abstract:

The grammarians have deduced the grammatical rules by extrapolating the different readings of the Noble Qur'an, 'Alketab' belongs to its owner 'Sibawayh' (d. 180 AH) is considered as Qur'an grammar. So, What is the status of readings for the imam of grammarians Sibawayh? and How true are the arguments of those who criticized him?

The difference in readings and dialects is one of the most important factors that led to grammar disagreement. Among the most important reasons for the multiplicity of Qur'anic readings is diversity, not contradiction. Despite this difference in readings and their diversity, we do not find contradiction, nor disagreement in the Holy Qur'an, and this is only a verse of the verses of the Most Merciful in the universe, and accordingly 'Sibawayh' was true in his saying: "Except that reading does not violate Because it is the Sunnah...", although many grammarians have misunderstood him.

Keywords: the origins of grammar; Protest for readings; Linguists' position on Sibawayh; Grammar Orientation.

1.مقدمة:

يعتبر القرآن الكريم المصدر الأول لكل الدّراسات اللّغوية في اللّغة العربيّة، حيث استنبط النُّحاة القواعد النّحوية عن طريق استقراء القراءات المختلفة للقرآن الكريم، وكلام العرب من شعرٍ ونثرٍ مما كان يجري على أفواههم في بوادي نجد والحجاز وتهامة...، ونجد نصف شواهد الكتاب لصاحبه سيبويه (ت180ه) عبارة عن آيات قرآنية، ويعتبر الكتاب أقدم مصدر للدِّراسات النّحوية العربيّة، وفيه نحو أربعمائة آية قرآنية، يحتج بها سيبويه للتّدليل على القواعد النّحوية، ونعلم أنَّ النّحو العربيُّ قام لحماية القرآن الكريم من اللّحن والتّصحيف، ولأنَّ للقرآن الكريم مكانة خاصة في نفوس العرب والمسلمين بصفة خاصة، فالجهود مازالت متواصلة من أجل تدبر آياته وخاصة ونحن نعلم أنّه صالح لكل زمان ومكان، وعليه فالجهود مازالت متواصلة لخدمته والحفاظ على نصه، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء، 82] ، فقد اعتمد النُّحاة الأوائل النَّص القرآني من أجل الاحتجاج به، فما مكانة القراءات عند إمام النُّحاة سيبويه؟ وما مدى صحة حجج من انتقدوه؟! حيث يعتبر القياس والسّماع أهم الأدلة النّحوية الّتي اعتمدها النُّحاة للنَّظر في القراءات فما وافق أيّ منهما اتفقوا عليه واحتجوا به، وأما ما خالف أيًّ منهما، فهناك اختلاف بين آرائهم بين الرَّفض والقبول، فاختلاف القراءات واللّهجات من أهم العوامل الّتي أدَّت إلى الخلاف النّحوي. وهذه الدّراسة عبارة عن دراسة وصفيَّة تحليليَّة تأصيليَّة بدأتها ببعض التَّعريفات التي أراها ضرورية لهذا البحث كدراسة نظرية، ومن ثم دراسة تطبيقية مبسطة أين درست آيات كأمثلة من 'الكتاب' في المسائل النّحوية الَّتي أساء بعض النُّحاة فهم سيبويه (ت.180ه)، وكذلك تعرضت لبعض الآراء مؤكدة صواب ما ذهبت إليه. وفي الحقيقة هذا الموضوع أكبر من أن يدرج كمقال فهو موضوع عظيم الشأن، ومن الصَّعب حصره، لكنّني حاولت فعل ذلك لأهميته ورغبة مني إلى توجيه الباحثين إلى البحث في القراءات وتوجيهاتها النّحوية، وكذلك محاولة جمع جميع القراءات الواردة في الكتب التراثية القديمة ما أمكن ذلك.

2.أصول النحو والاحتجاج بالقراءات:

2-1تعريف أصول النّحو:

يقول أبو البركات بن الأنباري (ت577.ه): "أدّلة النّحو الّتي تفرعت منها فروعه وفصوله، كما أنّ أصول الفقه هي أدّلة الفقه الّتي تفرعت عنها جملته وتفصيله"[1]. وعرفه جلال الدِّين السيوطي (ت911ه) بقوله: "علم يبحث فيه عن أدّلة النّحو الإجمالية من حيث هي أدِّلته وكيفيَّة الاستدلال بها وحال المستدل"[2]. وعليه فبالاعتماد على هذه الأدّلة يمكنهم الوصول إلى الصواب من الكلام. ويقول محمد عيد في مقدمته:" 'أصول النّحو العربيّ' يُقصد بها الأسس الّتي بُنيَّ عليها هذا النّحو في مسائله وتطبيقاته، ووجهت عقول النُّحاة في آرائهم وخلافهم وجدلهم، وكانت لمؤلفاتهم كالشرايين الّتي تمد الجسم بالدّم والحيّويّة."[3]

2-2تعريف النّحو العربي:

يقول ابن جني (ت392ه): "هو انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره؛ كالتّثنية، والجمع، والتّحقير، والتّكسير والإضافة، والنَّسب، والتّركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللّغة العربيّة بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها ردّ به إليه. وهو في الأصل مصدر شائع، أي نحوت نحوًا، كقولك: قصدت قصدًا، ثم خصّ به انتحاء هذا القبيل من العلم، كما أنَّ الفقه في الأصل مصدر فقهت الشّيء أي عرفته، ثم خصّ به علم الشريعة من التّحليل والتّحريم، وكما أنَّ بيت الله خصّ به الكعبة، وإن كانت البيوت كلّها لله. وله نظائر في قصر ما كان شائعًا في جنسه على أحد أنواعه.
وقد استعملته العرب ظرفًا، وأصله المصدر."[4] فالنّحو العربيُّ يحمي اللغة العربيّة من اللَّحن، ويحافظ على سلامتها.

2-3معنى الاحتجاج:

"والحجة: البرهان؛ وقيل: الحجة ما دوفع به الخصم؛ وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. وهو رجل محجاج أي جدل. والتحاج: التخاصم؛ وجمع الحجة: حجج وحجاج. وحاجه محاجة وحجاجا: نازعه الحجة. وحجه يحجه حجا: غلبه على حجته. وفي الحديث: فحج آدم موسى أي غلبه بالحجة. واحتج بالشَّيء: اتَّخذه حجة؛ قال الأزهري: إنَّما سميت

---

[1] لمع الأدّلة، ابن الأنباري، تح: سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، 1377ه-1957م، ص80.

[2] الإصباح في شرح الاقتراح، تح: محمود فجال، دار القلم، دمشق، 1409ه-1989م، ص25.

[3] محمد عيد، أصول النّحو العربيّ، في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللّغة الحديث، ط4، عالم الكتب، 1410ه-1989م، ص5.

[4] أبو الفتح عثمان ابن جني (ت392ه)، تح: عبد الحميد هنداوي، الخصائص، ج1، دار الكتب العلميّة، ص90.

حجة لأنَّها تحج أي تقتصد لأنَّ القصد لها وإليها؛ وكذلك محجة الطريق هي المقصد والمسلك. وفي حديث الدجال: إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه، أي محاجه ومغالبه بإظهار الحجة عليه. والحجة: الدليل والبرهان. يقال: حاججته فأنا محاج وحجيج، فعيل بمعنى فاعل."[1] وفي التّعريفات للشريف الجرجاني (ت816هـ): "الحجة: ما دلّ به على صحة الدعوى، وقيل الحُجَّة والدليل واحد."[2] **"الاحتجاج:** إثبات شيء بدليل نقلي يعود إلى من يصحّ الاحتجاج به لتوثيق مسألة من المسائل، أو ما يُؤتى به من الكلام الفصيح ليشهد بصحّة العبارة دلاليًا أو نحويًا، ومدى موافقتها أو مخالفتها للعرف اللّغوي."[3]"حجيج النّحو إذن: براهين تقام من نصوص اللّغة للدلالة على صحة رأي أو قاعدة، والاحتجاج في النّحو معناه: الاعتماد على إقامة البراهين من نصوص اللّغة شعرًا ونثرًا."[4]

2-4مفهوم الاحتجاج للقراءات:

يقول محمود أحمد الصغير: "الاحتجاج للقراءة فنٌّ من فنون القراءات، ارتبط تطوُّره بها منذ بدأت حروفًا متفرقة إلى أن صارت عِلمًا مستقلاً، فقد كان في أوّل عهده غضًّا، يقتصر على المشابهات القريبة الّتي تُعقَد بين القراءات - أو سائر أساليب اللّغة - في اللّفظ أو المعنى أو التّركيب."[5] ويقول أيضًا: "ومنذ هذه الحقبة بدأت كتب الاحتجاج المستقلة بالظهور، فكان منها كتاب المبرد، ثم توالَت بعده المصنفات، ولا سيما بعد أن أطلَق أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد (ت324هـ) مقياسه التّاريخي؛ إذ أسرع عدد من العلماء إلى تأليف الكتب فيه، فقد وضع كل من أبي بكر محمد بن السري (ت316هـ)، وأبي طاهر عبد الواحد البزاز (ت349هـ)، ومحمد بن الحسن الأنصاري (ت351هـ)، وأبي علي الفارسي (ت377هـ)، ومكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ)- كتابًا مستقلًّا في هذا الشأن، فأصبح بذلك الاحتجاج للقراءة علمًا قائمًا بذاته، له أصول وأدوات، وعلماء يَنصرفون إليه".[6]

---

[1] محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي(ت711هـ)، لسان العرب، ج2، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1419 هـ-1999م، ص228.

[2] الشريف الجرجاني (ت816هـ)، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، ص73.

[3] صالح بلعيد، الاحتجاج اللّغوي، مجلة المجمع الجزائري للّغة العربيّة، ع1، المجمع الجزائري للّغة العربيّة، الجزائر، ماي2005م، ص47.

[4] محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللّغة الحديث، عالم الكتب، دار الشرق الأوسط للطباعة، العطار وشركاه، القاهرة، 1988م، ص86.

[5] محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النّحوي، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1999م، ص205.

[6] محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النّحوي، ص205-206.

2-5تعريف القراءات:

أ- لغة: "معنى قرأتُ القرآن: لَفَظْت به مَجْمُوعًا، أي: أَلقيته."[1]

ب- اصطلاحًا: "القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعَزْو الناقلة"[2]. وكذلك هي "علم يُعرف به اتفاق النّاقلين لكتاب الله، واختلافهم في اللّغة والإعراب والحذف، والإثبات والتّحريك والإسكان، والفصل والاتصال"[3]. وخلص التواتي إلى القول: "إنَّ القراءة هي ما ينسب لإمام من الأئمة أمّا الرواية فهي ما ينسب لآخذ عن الإمام ولو بواسطة، أمّا الطريق هي ما ينسب لمن أخذ عن الرواة وإن سفل، ..."[4]

1-5-2القراءات السبع:

هي القراءات الّتي جمعها ابن مجاهد (ت324ه) باختياره الخاص فاشتهرت عنه. ويقول ابن الجزري (ت833ه):"... وعلى أنَّه لا يجوز أن يكون المراد من الأحرف السبعة هؤلاء السبعة القراء المشهورين وإن كان يظن بعض العوام، لأنّ هؤلاء السبعة لم يكونوا خلقوا ولا وجدوا؛ وأوَّل من جمع قراءاتهم أبو بكر بن مجاهد في أثناء المائة الرابعة..."[5].

2-5-2شروط القراءة:

يقول أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش(ت437ه): "فإن سأل سائل فقال: فما الّذي يقبل من القراءات الآن، فيقرأ به؟ وما الّذي لا يقبل، ولا يقرأ به؟ فالجواب: أنَّ جميع ما روي من القراءات على ثلاثة أقسام:

قسم يقرأ به اليوم، وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خِلال، وهي:

- أن ينقل عن الثقات إلى النّبيّ ﷺ؛
- ويكون وجهه في العربيّة، الّتي نزل بها القرآن شائعًا؛
- ويكون موافقا لخطِّ المصحف.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص128.

[2] محمد بن محمد بن يوسف شمس الدين أبو الخير، ابن الجزري (ت833ه)، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلميَّة، ط1، 1420ه- 1999م، ص3.

[3] أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، أبو العباس، (ت923ه)، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تح: مركز الدِّراسات القرآنية، ج1، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1434ه، ص170.

[4] التواتي بن التواتي، القراءات القرآنية تعريفها وأوجه اختلافها، مجلة المجمع الجزائري للّغة العربيّة، عد:9، المجمع الجزائري للّغة العربيّة، 1430ه- 2009م، ص144.

[5] الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، ابن الجزري (ت833ه)، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص24.

فإذا اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاث قرئ به، وقطع على مغيبه وصحته وصدقه، لأنَّه أخذ عن إجماع من جهة موافقته لخط المصحف، وكفر من جحده.

والقسم الثاني: ما صح نقله في الآحاد، وصح وجهه في العربيّة، وخالف لفظه خط المصحف. فهذا يقبل، ولا يقرأ به لعلتين:

إحداهما: أنَّه لم يؤخذ بإجماع، إنَّما أخذ بأخبار الآحاد، ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد.

والعلة الثانية: أنَّه مخالف لما قد أجمع عليه، فلا يقطع على مغيبه وصحته، وما لم يقطع على صحته لا تجوز القراءة به، ولا يكفر من جحده، وبئس ما صنع إذ جحده.

والقسم الثالث: هو ما نقله غير ثقة، أو نقله ثقة ولا وجه له في العربيّة. فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف."[1] ويقول أبو عمرو الداني في قوله:" وأئمة القرَّاء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللّغة، والأقيس في العربيّة، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النَّقل، والرِّواية إذا ثبتت عندهم لم يردَّها قياس عربيّة، ولا فُشوُّ لغة، لأنَّ القراءة سُنة مُتَّبعة يَلزَم قَبولها والمصيرُ إليها".[2] "كل قراءة وافقت العربيّة ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة الّتي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة الّتي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، صرح بذلك الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ونص عليه في غير موضع الإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب، وكذلك الإمام أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي، وحققه الإمام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة، وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه."[3]

---

[1] أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت437هـ)، الإبانة عن معاني القراءات، تح: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ص51-52.

[2] النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، 10/1.

[3] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 9/1.

3-5-2القراء العشرورواتهم:

جدول 1: القراء العشرورواتهم

الأئمة العشرة		أشهررواتهم
المدينة	نافع الليثي (ت169ه): نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم الليثي الكناني مولى جعونة بن شعوب الليثي الكناني،...	ورش المصري (ت197ه): أبو سعيد عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو بن سليمان،...
		قالون بن مينا (ت220ه): أبو موسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد بن عمر بن عبد الله الزرقي مولى بن زهرة،...
مكة المكرمة	ابن كثير (ت120ه): عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زادان بن فيروز بن هرمز، ...	أبو الحسن البزي(ت250ه): أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة، ...
		قنبل المخزومي(ت291ه): هو محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن محمد بن سعيد المخزومي المكي،...
البصرة	أبو عمر المازني (ت154ه): أبو عمرو بن العلاء بن عمار المازني العمروي التميمي،..	أبو عمرو الدوري (ت246ه): حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صُهبان بن عدي بن صهبان الدوري الأزدي البغدادي، ...
		أبو شعيب السوسي (ت261ه): أبو شعيب صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن الجارود بن مسرح الرستبي السوسي الرقي،...
الشام	ابن عاصم اليحصبي (ت118ه): عبد الله بن عامر يزيد بن تميم بن ربيعة، أبو عِمْرَان على الأصحّ، اليَحْصُبِيُّ الدِّمشقيُّ،...	عبد الله بن ذكوان (ت242ه): وأبو عمرو عبد الله بن أحمد بن بشير ويقال بن ذكوان بن عمرو بن حسان بن داود بن حسنون بن سعد بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وأبو محمد القرشي الفهري الدمشقي،...
		هشام السلمي (ت245ه): هشام بن عمار بن نُصير بن ميسرة بن أبان السلمي ويقال: الظفري،أبو الوليد الدمشقي، السلمي،...
الكوفة	عاصم الأسدي (ت127ه): عاصم بن أبي النُّجُود أو عاصم القارئ،...	حفص البزاز (ت180ه): فص بن سليمان بن المغيرة بن أبي داود الأسدي الكوفي الغاضري البزّاز، ...
		شعبة بن عياش (ت193ه): أبو بكر بن عيَّاش المقرئ،...

الأئمة العشرة		أشهر رواتهم
الكوفة	حمزة الزيات (ت156هـ): حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكُوفيُّ، ...	خلاد الصيرفي (ت220هـ): خلاد بن خالد الشيبانى الصيرفي الكوفي وكنيته أبو عيسى وقيل أبو عبد الله، ...
		خلف البزاز (ت229هـ): خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف الأسدي البغدادي البزاز،...
الكوفة	علي الكسائي (ت189هـ): أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان الكسائي،...	أبو الحارث الليث البغدادي (ت240هـ): أبو الحارث الليث بن خالد المروزي البغدادي،...
		أبو عمرو الدوري (ت246هـ): أبو عمرو حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صُهبان بن عدي بن صهبان،...
المدينة	أبو جعفر المدني (ت130هـ): فيروز بن القعقاع، مولى عبد الله بن عيَّاش بن أبي ربيعة المخزومي،...	ابن وردان (ت160هـ): أبو الحارث عيس بن وردان المدني، لقبه الحذاء،
		ابن جماز (ت175هـ): أبو الرّبيع سليمان بن محمد بن مسلم بن جماز،..
البصرة	يعقوب بن إسحاق (ت205هـ): يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي البصري،...	رويس (ت238هـ): أبو عبد الله محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري،...
		روح (ت235هـ): أبو الحسن روح بن عبد المؤمن الهذلي البصر،...
الكوفة	خلف البزاز (ت229هـ): أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف الأسدي البغدادي،...	إسحاق (ت286هـ): أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله المروزي،...
		إدريس (ت292هـ): أبو الحسن إدريس بن عبد الكريم الحداد البغدادي،...

3.سيبويه (ت180ه) والقراءات:

صحيح أنّ النّحو استنبط من القراءات القرآنية المختلفة "فكم من قراءة أنكرها بعض أهل النّحو أو كثير منهم ولم يعتبر إنكارهم، بل أجمع الأئمة المقتدى بهم من السّلف على قبولها كإسكان (بَارِئْكُمْ) وَ(يَأْمُرْكُمْ) وَنَحْوِهِ، وَ(سَبَأْ) وَ(يَا بُنَيْ)، (وَمَكْرَ السَّيِّئْ) وَ(نُنْجِي..."[1] ويقول التواتي بن التواتي "والمنهج المتَّبع والمعتمد عند سيبويه –رحمه الله- في القراءات هو المنهج القائم على اعتماد ثبوت القراءة بسند نقلي صحيح وبذلك كان يبيّن لكلّ قراءة من القراءات الثابتة وجهها الموافق لمقاييس العربيّة وأوضاعها، وقد يزيد على القراءات الواردة ببيان وجوه جديدة تتسع لها العربيّة أو أنَّ القراءة جاءت بها."[2] ويقول عن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170ه) "وإذا رجعنا إلى كتاب سيبويه (ت180ه) نجد فيضًا من الشواهد القرآنية الّتي اعتمدها الخليل ولعلّ نقله عنه منها في أبواب كثيرة منها أكبر شاهد ودليل على صحّة ما ذهبنا إليه. وكان يُكثر من تفسير الآيات القرآنية وتحليلها وتوجيهها توجيهًا نحويًا وكان في معظم ذلك يردّ عن سؤال وجّهه إليه تلميذه سيبويه (ت180ه) عن استعمال معيّن خاص وما يختار قولًا إلّا دعّمه بشاهد من القرآن أو كلام العرب"[3] ويجب التنبيه "إنَّ القراءات المختلفة الّتي أثبتها سيبويه (ت180ه) في كتابه تعبّر عن المراحل الأولى الّتي كانت فيها القراءات غير مصنَّفة من حيث التواتر والشذوذ ولا واضحة المعالم، فهو لا يذكر القراء بأسمائهم، وقد يذكر قارئًا اعتبر فيما بعد من القراء الشواذ، وقد يسند القراءة إلى الكوفيين وأهل الحجاز أو يستعمل عبارة 'قرأ قوم' أو 'قرأ أناس' أو 'قرأ الناس' أو 'قرأ بعضهم'. وقد يرجّح ما ورد في القراءات الشاذة، ويخرّج بعض المسموع على ما ورد فيها (أي: القراءات الشاذة)، ..."[4]

---

[1] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص10.

[2] التواتي بن التواتي، سيبويه والقراءات القرآنية، مجلة المجمع الجزائري للّغة العربيّة، عد: 13، المجمع الجزائري للّغة العربيّة، 1432ه-2011م، ص48.

[3] التواتي بن التواتي، الخليل بن أحمد والقراءات القرآنية، مجلة المجمع الجزائري للّغة العربيّة، عد:4، المجمع الجزائري للّغة العربيّة، 1426ه- 2006م، ص107.

[4] التواتي بن التواتي، سيبويه والقراءات القرآنية، ص38.

1-3سيبويه والاستربادي (ت646هـ):

يقول في 'هذا باب الأمر والنّهي': "فأما قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩﴾ [القمر،49] فإنّما هو على قوله: زيدًا ضربتُه، وهو عربيّ كثير. وقد قرأ بعضهم: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ... ﴾[فصّلت، 17] ، إلاّ أنّ القراءة لا تُخالَفُ، لأنّ القراءة السُّنَّةُ..."[1] وفي طبعة بولاق: إلاّ أنّ القراءة لا تُخالَفُ لأنّها السُّنَّةُ..."[2] ثمودَ بالفتح وليس بالضم كما هو في المصحف العثماني: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٧﴾ [فصّلت،17] فهنا موقف صريح من سيبويه من أنّ القراءة لا تُخالف لأنّها سنة متبعة، فهو لم يُخالف قراءة ولا مرّة في الكتاب. ويقول سيبويه مؤكدًا موقفه وذلك في كل مرّة "... وقد قرأ أناس: "والسَّارقَ والسَّارقةَ"♣ ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧﴾[سورة المائدة،٣٨] و"الزانيةَ والزانِيَ"♦ ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢﴾[النّور،2] وهو في العربيّة على ما ذكرت لك من القوّة. ولكن أَبَتِ العامَّةُ إلاّ القراءةَ بالرّفع. وإنّما كان الوجهُ في الأمر والنّهي النّصب لأنّ حدَّ الكلام تقديمُ الفعل، وهو فيه أوجبُ، إذ كان ذلك يكون في ألف الاستفهام، لأنّهما لا يكونان إلا بفعل. ..."[3] في حين نجد هذا المثال الّذي شرحه الاستربادي لتوضيح مذهب سيبويه في القراءات، والمثال ذكره سيبويه كالتالي: ويقول سيبويه (ت.180هـ): "يريد: الواجبء وقالوا: نبيّ وبريّةٌ، فألزموا أهل التّحقيق البدل. وليس كلُّ شيء نحوهما يفعل به ذا، إنّما يؤخذ بالسَّمع. وقد بلغنا أنَّ قومًا من أهل الحجاز من أهل التّحقيق يحققون نبيّ وبريئةٌ، وذلك قليلٌ رديء. فالبدل ههنا كالبدل في منساةٍ وليس بدل التّخفيف، وإن كان اللّفظ واحدًا."[4] "ومع هذا فهكذا لغة أهل الحجاز، وهي اللّغة الفصحى

---

[1] عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء أبو بشر، سيبويه (ت180هـ)، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 3/3، 1408هـ-1988م، ص148.

[2] سيبويه، أبو بشر عمر، الكتاب، ج1، ط1، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية، 1316هـ، ص74.

♣ - هي قراءة عيسى بن عمر، وابن أبي عبلة، أنظر: تفسير أبو حيان الغرناطي الأندلسي ، 476/3. " وقرأ عيسى الثقفي ويحيى بن يعمر وعمرو بن فائد وأبو جعفر وشيبة وأبو السمال ورويس (الزانيةَ والزاني)، أبو حيّان الأندلسيّ ، تح: عادل أحمد عبد الموجود وأخرون،ج6، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1413هـ-1993م، ص393.

♦ - هي قراءة عيسى، ويحي بن يعمر، وعمرو بن فائدة، ,ابو جعفر، وشيبة، وأبو السمال، ورويس. أنظر: تفسير أبي أبو حيان الغرناطي الأندلسي ، 427/6.

[3] سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ص144.

[4] سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ص555.

القدمى."[1] "قوله " في نبيّ وبرية " ونجد في شرح حاشية ابن الحاجب في حديثه عن مذهب سيبويه (ت180ه) في القراءات" ألزمهما أهل التّحقيق البدل، قال: وقد بلغنا أنَّ قومًا من أهل القياس، وهي ثابتة في القراءات السّبع، ومذهب سيبويه أنّ النبئ مهموز اللام، وهو الحق، خلافًا لمن قال: إنّه من النباوة: أي الرّفعة، وذلك لأنَّ جمعه نُبَآءُ، وإنَّما جمع على أنبيّاء - وإن كان أَفْعِلاَءُ جَمْع فَعيل المعتل اللام كصفي وأصفياء وَفُعَلاَءُ جَمْع الصَّحيح اللام ككرماء وظرفاء - لأنّهم لما ألزموا واحدة التّخفيف صار كالمعتل اللام، نحو سخيّ، وكذا ألزم التّخفيف في مصدره كالنبُوَّة، وجاء في السّبع النبُوءَة - بالهمز، ولما رأى المصنف ثبوت النبئ والبريئة مهموزين في السّبع حكم بأنَّ تخفيفهما ليس بلازم، وكذا ورد في السبع النبوءة بالهمز، ومذهب سيبويه - كما ذكرناه - أن ذلك ردئ مع أنّه قرئ به، ولعل القراءات السبع عنده ليست متواترة، وإلا لم يحكم برداءة ما ثبت أنّه من القرآن الكريم، تعالى عنها"[2] فقد حكم على سيبويه (ت180ه) بالتعالي، رغم أنّ سيبويه (ت180ه) في هذا المثال تحدث عن قوم من أهل الحجاز.

3-2سيبويه وأبو حيان الغرناطي الأندلسي (ت745ه):

ونجد أبو حيان يقول: "...والرّفع في والسارق والسارقة على الابتداء، والخبر محذوف والتقدير: فيما يتلى عليكم، أو فيما فرض عليكم، السارق والسارقة أي: حكمهما."[3] "ولا يجوز سيبويه أن يكون الخبر قوله: فاقطعوا، لأنَّ الفاء لا تدخل إلّا في خبر مبتدأ موصول بظرف أو مجرور، أي جملة صالحة لأداة الشّرط. والموصول هنا أل، وصلتها اسم فاعل أو اسم مفعول، وما كان هكذا لا تدخل الفاء في خبره عند سيبويه."[4] "وقد أجاز ذلك جماعة من البصريين أعني: أن يكون والسارق والسارقة مبتدأ، والخبر جملة الأمر، أجروا أل وصلتها مجرى الموصول المذكور، لأنَّ المعنى فيه على العموم إذ معناه: الذي سرق والّتي سرقت."[5]"ولما كان مذهب سيبويه أنَّه لا يجوز ذلك، تأوله على إضمار الخبر فيصير تأوله: فيما فرض عليكم حكم السارق والسارقة. جملة ظاهرها أن تكون مستقلة، ولكن المقصود هو في قوله: فاقطعوا، فجيء بالفاء رابطة للجملة

---

[1] ابن جنّي، الخصائص، ص272.

[2] الرضي الإستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب (ت646ه)، مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب (ت1093ه)، تح: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيى الدين عبد الحميد، ج3، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، 1395ه-1975م، ص35.

[3] أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت745ه)، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، ج4، دار الفكر، بيروت، 1420ه، ص246.

[4] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ص246.

[5] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ص246.

الثانية، فالأولى موضحة للحكم المبهم في الجملة الأولى. [1] وقرأ عيسى بن عمر وابن أبي عبلة: والسارق والسارقة بالنّصب على الاشتغال. قال سيبويه: الوجه في كلام العرب النّصب كما تقول: زيدا فاضربه، ولكن أبت العامة إلا الرّفع،"[2] يعني عامة القراء وجلّهم. ولما كان معظم القراء على الرّفع، تأوله سيبويه على وجه يصح،"[3] ويقول أبو حيان "وهو أنَّه جعله مبتدأ، والخبر محذوف، لأنَّه لو جعله مبتدأ والخبر فاقطعوا لكان تخريجًا على غير الوجه في كلام العرب، ولكان قد تدخل الفاء في خبر أل وهو لا يجوز عنده.

3-4سيبويه و الفخر الرازي (ت606ه):

ومن خلال ما ذكره أبو حيان حيث قال: "وقد تجاسر أبو عبد الله محمد بن عمر المدعو بالفخر الرازي ابن خطيب الري على سيبويه وقال عنه ما لم يقله فقال: الذي ذهب إليه سيبويه ليس بشيء، ويدل على فساده وجوه: الأول: أنّه طعن في القراءة المنقولة بالمتواتر عن الرسول، وعن أعلام الأمة، وذلك باطل قطعا."[4] (قلت): هذا تقوُّل على سيبويه، وقلة فهم عنه، ولم يطعن سيبويه على قراءة الرّفع، بل وجهها التوجيه المذكور، وأفهم أن المسألة ليست من باب الاشتغال المبني على جواز الابتداء فيه، وكون جملة الأمر خبره، أو لم ينصب الاسم، إذ لو كانت منه لكان النّصب أوجه كما كان في زيدا اضربه على ما تقرر في كلام العرب، فكون جمهور القراء عدلوا إلى الرّفع دليل على أنهم لم يجعلوا الرّفع فيه على الابتداء المخبر عنه بفعل الأمر، لأنّه لا يجوز ذلك لأجل الفاء."[5] فقوله: أبت العامة إلا الرّفع تقوية لتخريجه، وتوهين للنَّصب على الاشتغال مع وجود الفاء، لأنَّ النّصب على الاشتغال المرجح على الابتداء في مثل هذا التّركيب لا يجوز، إلا إذا جاز أن يكون مبتدأ مخبرا عنه بالفعل الذي يفسر العامل في الاشتغال، وهنا لا يجوز ذلك لأجل الفاء الداخلة على الخبر، فكان ينبغي أن لا يجوز النّصب. فمعنى كلام سيبويه يقوي الرّفع على ما ذكر، فكيف يكون طاعنا في الرّفع؟ وقد قال سيبويه: وقد يحسن ويستقيم: عبد الله فاضربه، إذا كان مبنيًا على مبتدأ مضمر أو مظهر، فأما في المظهر فقولك: هذا زيد فاضربه، وإن شئت لم تظهر هذا ويعمل عمله إذا كان مظهرا وذلك كقولك: الهلال والله فانظر إليه، فكأنك قلت: هذا الهلال ثم جئت بالأمر. ومن ذلك قول الشَّاعِرِ:

وَقَائِلَةٍ خَوْلَانُ فَانْكِحْ فَتَاتَهُمْ *** وَأُكْرُومَةُ الْحَيَّيْنِ خَلْوٌ كَمَا هِيَا

---

[1] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ص246.

[2] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ص246.

[3] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ص246.

[4] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ص247.

[5] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير ، ص247.

هكذا سمع من العرب تنشده انتهى."[1] "فإذا كان سيبويه يقول: وقد يحسن ويستقيم. عبد الله فاضربه، فكيف يكون طاعنا في الرّفع، وهو يقول: أنه يحسن ويستقيم؟ لكنه جوزه على أن يكون المرفوع مبتدأ محذوف الخبر، كما تأوله في السارق والسارقة، أو خبر مبتدأ محذوف كقوله: الهلال والله فانظر إليه."[2] "وقال الفخر الرازي: (فإن قلت) : - يعني سيبويه- لا أقول إنَّ القراءة بالرّفع غير جائزة، ولكني أقول: القراءة بالنّصب أولى، فنقول له: هذا أيضًا رديء، لأنَّ ترجيح القراءة الّتي لم يقرآ بها إلَّا عيسى بن عمر على قراءة الرسول وجميع الأمة في عهد الصحابة والتابعين أمر منكر مردود."[3] "(قلت) : هذا السؤال لم يقله سيبويه، ولا هو ممن يقوله، وكيف يقوله وهو قد رجح قراءة الرّفع على ما أوضحناه؟ وأيضًا فقوله: لأنَّ ترجيح القراءة الّتي لم يقرآ بها إلا عيسى بن عمر على قراءة الرسول وجميع الأمة في عهد الصحابة والتَّابعين تشنيع، وإيهام أنَّ عيسى بن عمر قرأها من قبل نفسه، وليس كذلك، بل قراءته مستندة إلى الصحابة وإلى الرسول، فقراءته قراءة الرسول أيضًا، وقوله: وجميع الأمة، لا يصح هذا الإطلاق لأنَّ عيسى بن عمر وإبراهيم بن أبي عبلة ومن وافقهما وأشياخهم الَّذين أخذوا عنهم هذه القراءة هم من الأمة. وقال سيبويه: وقد قرأ ناس "والسارق والسارقة" "والزانية والزاني"، فأخبر أنَّها قراءة ناس. وقوله: وجميع الأمة لا يصح هذا العموم."[4] "قال الفخر الرازي: الثاني: من الوجوه الّتي تدل على فساد قول سيبويه أن القراءة بالنّصب لو كانت أولى لوجب أن يكون في القراء من قرأ: وَالَّذانِ يَأْتِيانِها مِنْكُمْ فَآذُوهُما ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء،16]، بِالنّصب، ولما لم يوجد في القراءة أحد قرأ كذلك، علمنا سقوط هذا القول."[5] "(قلت) : لم يدع سيبويه أن قراءة النّصب أولى فيلزمه ما ذكر، وإنَّما قال سيبويه: وقد قرأ ناس والسارق والسارقة والزانية والزاني، وهو في العربيّة على ما ذكرت لك من القوة، ولكن أبت العامة إلا القراءة بالرّفع. ويعني سيبويه بقوله: من القوة، لو عري من الفاء المقدر دخولها على خبر الاسم المرفوع على الابتداء، وجملة الأمر خبره، "ولكن أبت العامة أي- جمهور القراء- إلا الرّفع لعلة دخول الفاء"[6] وبعد أن ردّ أبو حيان على كل ما قاله الرازي عن سيبويه، أخبرنا عن رأيه عنه صراحة حيث يقول: "وما ذكره الرازي لا يتفرع على كلام سيبويه بوجه، والعجب من هذا الرجل

[1] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ص247.

[2] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ص247.

[3] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير ، ص247-248.

[4] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ص247-248.

[5] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ص248.

[6] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ص248.

وتجاسره على العلوم حتى صنف في النّحو كتابا سماه المحرر، وسلك فيه طريقة غريبة بعيدة من مصطلح أهل النّحو ومن مقاصدهم، وهو كتاب لطيف محتو على بعض أبواب العربيّة، وقد سمعت شيخنا أبا جعفر بن الزبير يذكر هذا التصنيف ويقول: إنه ليس جاريا على مصطلح القوم، وإن ما سلكه في ذلك من التخليط في العلوم، ومن غلب عليه فن ظهر فيما يتكلم به من غير ذلك الفن أو قريبا منه من هذا المعنى"[1]

3-5سيبويه والزّمخشري(ت538هـ):

من خلال ما ذكره أبو حيان "وقال الزَّمَخْشَرِيُّ"[2] بعد أن ذكر مذهب سيبويه في إعراب والسارق والسارقة ما نصه: ووجه آخر وهو أن يرتفعا بالابتداء، والخبر فاقطعوا أيديهما، ودخول الفاء لتضمنها معنى الشّرط، لأنَّ المعنى: والَّذي سرق والّتي سرقت فاقطعوا أيديهما، والاسم الموصول تضمن معنى الشّرط. وقرأ عيسى بن عمر بالنّصب، وفضلها سيبويه على قراءة العامة لأجل الأمر، لأنَّ زيدا فاضربه أحسن من زيد فاضربه انتهى."[3] وهذا الوجه الذي أجازه وإن كان ذهب إليه بعضهم لا يجوز عند سيبويه، لأنَّ الموصول لم يوصل بجملة تصلح لأداة الشّرط، ولا بما قام مقامها من ظرف أو مجرور، بل الموصول هنا أل وصلة، أل لا تصلح لأداة الشّرط، وقد امتزج الموصول بصلته حتى صار الإعراب في الصلة بخلاف الظرف والمجرور، فإنَّ العامل فيهما جملة لا تصلح لأداة الشّرط. وأما قوله: في قراءة عيسى، إنَّ سيبويه فضلها على قراءة العامة فليس بصحيح، بل الذي ذكر سيبويه في كتابه أنَّهما تركيبان: أحدهما زيدا اضربه، والثاني زيد فاضربه. فالتّركيب الأول اختار فيه النّصب، ثم جوزوا الرّفع بالابتداء. والتّركيب الثاني منع أن يرتفع بالابتداء، وتكون الجملة الأمرية خبرا له لأجل الفاء. وأجاز نصبه على الاشتغال، أو على الإغراء، وذكر أنَّه يستقيم رفعه على أن يكون جملتان، ويكون زيد خبر مبتدأ محذوف أي: هذا زيد فاضربه، ثم ذكر الآية فخرجها على حذف الخبر، ودلَّ كلامه أنَّ هذا التّركيب هو لا يكون إلَّا على جملتين: الأولى ابتدائية، ثم ذكر قراءة ناس بالنّصب ولم يرجحها على قراءة العامة، إنَّما قال: وهي في العربيّة على ما ذكرت لك من القوة..."[4]

---

[1] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير ، ص251-252.

[2] انظر، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت:538هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمّد معوّض، ج2، ط1، مكتبة العبيكان، 1418هـ-1998م، ص233.

[3] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ص252.

[4] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير ، ص252-253.

6-3 سيبويه والمحدثين:

وتقريبًا في نفس المضمون يقول محمود نحلة عن سيبويه: أُثِر عنه استشهاده بما عُرِف من بعد بالقراءات الشّاذة إذا لم تخالف قياسًا معروفًا، فإذا خالفت القراءة القياس، أعرض عن ذكرها، وتجنَّب الإشارة إليها، أو ذكرها وذكَر رأي بعض أساتذته فيها دون تعقيبٍ منه، ومن ذلك أنَّه لم يذكر قراءة ابن عامر : (كن فيكون) بالنّصب، وكذلك فعل في قراءة حمزة :(واتقوا الله الّذي تساءلون به والأرحامِ) بجر الأرحام عطفًا على الضمير دون إعادة الجار، لأنّ المضارع في الأولى لا ينصب عنده بالفاء في الأمر إلا إذا كان جوابًا له، ولأنّه لا يجوز في الثانية عنده العطف على الضمير المجرور (محلًا) إلا بإعادة الجار [1] والآية هي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[النساء،1] ,وهنا أعتقد أنّ الرّد كما قال عبد الرحمان الحاج صالح (ت2017م) "قول سيبويه (ت180ه) وزملائه: ومثل ذلك في القرآن أو الشعر أو الكلام: أخذ سيبويه (ت180ه) على عاتقه أن يذكر لكل صفة أو خاصية لغوية شاهدًا من كلام العرب ينطق منه يواصل كلامه بقوله: "ومثل ذلك في القرآن" أو "مثل ذلك في الشّعر". فهذا يفعله باستمرار في كل صفحة من كتابه. فإن كان ذلك تخليطا بين لغة الشعر أو لغة القرآن واللّهجات فإنّه ينبغي أن يصعب في الغائب العثور على توافق الصيغ بين التّخاطب ولغة القرآن أو الشعر. ومع ذلك فالكتاب كله شاهد على السهولة الّتي يجدها سيبويه (ت180ه) في اكتشاف هذا التناسب في الأبنية."[2] ويقول محمود نحلة بعد أن تعرض للقراءات الّتي قيل أنّ سيبويه قد اعترض عنها " وكان النّوع الأول (المعارضة الصريحة) لا يكاد يثبت على التّمحيص، فإن من الممكن القول بأنَّ معارضة سيبويه لبعض القراءات هي معارضة غير صريحة تثبت بوضوح احترامه البالغ للقراءات من جهة، والصراع الناشب بين المادة اللّغوية المتشعبة والقواعد النّحوية الّتي يُراد لها الاطراد من جهة أخرى."[3] فسيبويه في دراسته اعتمد على السّماع والقياس وحاول عدم الخروج منهما، ويذكر في كل مرة شواهد من كلام العرب من شعر ونثر، وكذلك القرآن الكريم ولم يطعن في قراءة قارئ ما، فهذا موقف يحمد له ولا يمكن وصفه بالتّعالي، وفي نفس السياق تقول خديجة الحديثي(ت2018م): "أما سيبويه- شيخ النُّحاة البصريين الّذين كانوا يُخضعون القراءات

---

[1] محمود نحلة، أصول النّحو العربيّ، دار العلوم العربيّة، ط1، بيروت، لبنان، 1407م-1987م، ص34-35، نقلًا عن شوقي ضيف، المدارس النّحوية، القاهرة، 1976م، ص80-81.

[2] عبد الرحمان الحاج صالح (ت2017م)، اللّغة العربيّة وأسطورة "اللّغة المشتركة الأدبيّة" بإزاء اللّهجات العربيّة، بحوث ودراسات في اللِّسانيات العربيّة، ج1، منشورات المجمع الجزائري للّغة العربيّة، الجزائر، 2007م، ص164.

[3] محمود نحلة، أصول النّحو العربيّ، ص39.

لأقيستهم وإجماعهم وأصولهم الّتي وضعوها، وإن كانت من القراءات السبع الّتي اعتُمِدت ونُقِلت نقلًا متواترًا عن الرَّسول ﷺ وصحابته ﷺ عند أكثر الباحثين - فلم يَعِب قارئًا، ولم يُخطِّئ قراءة، بل كان يذكرها، ليُبين وجهًا من العربيّة فيها، وليُقوّي بها ما ورد عن العرب، وإن كانت القراءة من القراءات المفردة، لا يردها ولا يَصِفها بالشذوذ أو الخطأ، ولا يصف القارئ بالخطأ أو يَطعُن فيه، إنَّما يُحاول تخريجها على إحدى لغات العرب، وهو الّذي يعتبر اللغات الواردة عن العرب فصيحة صحيحة، وليس المتكلم بها مخطئًا، فكيف يُخطِّئ القرَّاء وهم أئمة المسلمين وأعلامهم، وما قرؤوا به لا يُخالَف؟! "[1] فكما ذكرنا من قبل وقد صرّح بذلك بقوله:" إلاَّ أنّ القراءة لا تُخالَفُ، لأنّ القراءة السُّنَّةُ"[2]. ويقول عبد الرحمان الحاج صالح (ت2017م): "قول سيبويه (ت180هـ) وزملائه: ومثل ذلك في القرآن أو الشعر أو الكلام: أخذ سيبويه (ت180هـ) على عاتقه أن يذكر لكل صفة أو خاصية لغوية شاهدًا من كلام العرب ينطق منه يواصل كلامه بقوله: "ومثل ذلك في القرآن" أو "مثل ذلك في الشّعر". فهذا يفعله باستمرار في كل صفحة من كتابه. فإن كان ذلك تخليطًا بين لغة الشعر أو لغة القرآن واللّهجات فإنّه ينبغي أن يصعب في الغائب العثور على توافق الصيغ بين التّخاطب ولغة القرآن أو الشعر. ومع ذلك فالكتاب كله شاهد على السهولة الّتي يجدها سيبويه (ت180هـ) في اكتشاف هذا التناسب في الأبنية."[3] ويقول عبد الرحمان الحاج صالح (ت2017م)" ...ولكن لم يمنعهم من أن يجعلوا لغة هذه المستويات الثلاث لغة واحدة إذ النظام النّحوي الصرفي غير الضرورات الشّعرية وغير الأساليب البلاغية. فالّذي تبيّن من كلام النّحاة أن لكل خاصية لغوية في لغة القرآن والشعر يوجد ما يماثلها في لغة التّخاطب فاختيار الرّفع أو النّصب إذا وجد في إحدى هذه المستويات من الاستعمال فهو كذلك في المستويين الآخرين كذلك إعمال فواعل وغير ذلك إلّا في القليل النّادر فكل بناء نحوي وُجد في القرآن والشعر كان ما يماثله غالبًا في الكلام العادي. وهذا هو أقوى دليل على وحدة اللّغة العربيّة في ذلك الزمان."[4] ويقول عبد الرحمان الحاج صالح (ت2017م)" أما فيما يخص القراءات فربّما لم تأت في القرآن إلّا لغة واحدة أي تنّوع واحد مع وجود تنوعات أخرى في نفس الوحدة اللّغوية (في المجتمع عليه لا في الشواذ) وقد تأتي اللّغتان وذلك لأنّ القراءات سنة وليست تابعة للمسموع عن العرب. إلّا أنّ لغات العرب (استعمالاتهم) أكثرها ورد في القراءات كما سنراه).[5] وكثيرًا ما كان موقف سيبويه كما وصفه

---

[1] خديجة الحديثي (ت2018م)، الشّاهد وأصول النّحو في كتاب سيبويه، مطبوعات جامعة الكويت، 1394هـ-1974م، ص51.

[2] سيبويه ، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، ص144.

[3] عبد الرحمان الحاج صالح، اللّغة العربيّة وأسطورة "اللّغة المشتركة الأدبيّة" بإزاء اللّهجات العربيّة، ص164.

[4] عبد الرحمان الحاج صالح، اللّغة العربيّة وأسطورة "اللّغة المشتركة الأدبيّة" بإزاء اللّهجات العربيّة، ص167.

[5] عبد الرحمان الحاج صالح، اللّغة العربيّة وأسطورة "اللّغة المشتركة الأدبيّة" بإزاء اللّهجات العربيّة، ص167.

'بعلبكي R. Baalbaki' "أنّ من الطريف أن نلحظ أنّ سيبويه وصف اللّغة ولم يصف القراءة بالضعف، ولعلّ في هذا دليلًا آخر على احترام سيبويه للقراءات، لأنّه عند مقاروة القراءة بلغة من لغات العرب يتجنب الوقوع في النقد الصريح للقراءة، ويعمد إلى وصف المثال بالضعف"[1].

الخلاصة:

إنَّ القرآن الكريم أصل قواعد النّحو لا شك في ذلك، وإذا وردت قراءات مختلفة فذلك لحكمة بالغة منها: الاختصار، والتَّفنن في الأسلوب، وكذلك تنبيه الذِّهن للتَّأمل، ومن أهم أسباب تعدُّد القراءات القرآنية هي من باب التَّنوع لا التَّضاد، ورغم هذا الاختلاف في القراءات وتنوُّعه، فلا نجد تناقُض، ولا تَخالُف في القرآن الكريم، وما هذا إلا آية من آيات الرحمان في الكون، وعليه فقد صدق سيبويه في قوله:" إلاَّ أنّ القراءة لا تُخالَفُ لأنّها السُّنَّةُ".

الاقتراحات والتوصيات:

1- توجيه الباحثين إلى البحث في التوجيهات النّحوية للقراءت، خاصة من خلال البحر المحيط لأبي حيان الغرناطي الأندلسي (ت745ه)، والكشاف للزمخشري (ت538ه)...؛

2- جمع القر اءات من خلال الكتب التراثية، واقتراحه كمشروع للمجمع الجزائري للّغة العربيّة معتمدين في ذلك على محرك الذخيرة اللّغوية العربيّة؛

3- جمع جميع المصاحف المخطوطة، ويمكن للمجلس الاسلامي الأعلى أن يتكفل بذلك؛

4- حث الباحثين على جمع جميع التّسجيلات للقراءات المختلفة ودراستها باستعمال التّكنولوجيات الحديثة.

[1] محمود نحلة، أصول النّحو العربيّ، ص37، نقلًا عن:
R.Baalbak:The treatment of Qirã´ãt by the second and third century grammarians. In: Zeit-Schrift für arabische Linguistik- 15-85-p17-18.

المصادر والمراجع:

1. أبو البركات الأنباري (ت577هـ)، لمع الأدّلة، تح: سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، 1377هـ-1957م.
2. أبو الفتح عثمان ابن جني (ت392هـ)، الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، ج1، دار الكتب العلميّة.
3. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت:538هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمّد معوّض، ج2، ط1، مكتبة العبيكان، 1418هـ-1998م.
4. أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، ج4، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.
5. أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت437هـ)، الإبانة عن معاني القراءات، تح: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر.
6. أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، أبو العباس، (ت923هـ)، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تح: مركز الدّراسات القرآنية، ج1، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1434هـ
7. التواتي بن التواتي، القراءات القرآنية تعريفها وأوجه اختلافها، مجلة المجمع الجزائري للّغة العربيّة، عد:9، المجمع الجزائري للّغة العربيّة، 1430هـ- 2009م.
8. التواتي بن التواتي، سيبويه والقراءات القرآنية، مجلة المجمع الجزائري للّغة العربيّة، عد: 13، المجمع الجزائري للّغة العربيّة، 1432هـ-2011م.
9. جلال الدين السيوطي (ت911هـ) ،الإصباح في شرح الاقتراح، تح: محمود فجال، دار القلم، دمشق، 1409هـ-1989م.
10. الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، ابن الجزري (ت833هـ)، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
11. خديجة الحديثي، الشّاهد وأصول النّحو في كتاب سيبويه، مطبوعات جامعة الكويت، 1394هـ-1974م.
12. الخليل بن أحمد والقراءات القرآنية، التواتي بن التواتي، مجلة المجمع الجزائري للّغة العربيّة، عد:4، المجمع الجزائري للّغة العربيّة، 1426هـ- 2006م.
13. سيبويه، أبو بشر عمر، الكتاب، ج1، ط1، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية، 1316هـ
14. الشريف الجرجاني (ت816هـ)، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة.
15. شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت833هـ)، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع (ت1380هـ)، ج1، المطبعة التجارية الكبرى.
16. صالح بلعيد، الاحتجاج اللّغوي، مجلة المجمع الجزائري للّغة العربيّة، عد:1، المجمع الجزائري للّغة العربيّة، الجزائر، ماي2005م.
17. عبد الرحمان الحاج صالح (ت2017م)، اللّغة العربيّة وأسطورة "اللّغة المشتركة الأدبيّة" بإزاء اللّهجات العربيّة، بحوث ودراسات في اللِّسانيات العربيّة، ج1، منشورات المجمع الجزائري للّغة العربيّة، الجزائر، 2007م.
18. عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء أبو بشر، سيبويه (ت180هـ)، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ط3، 1408هـ-1988م.
19. محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين (ت686هـ)، شرح شافية ابن الحاجب (ت646هـ)، مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب (ت1093هـ)، تح: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيى الدين عبد الحميد، ج3، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1395هـ-1975م.
20. محمد بن محمد بن يوسف شمس الدين أبو الخير، ابن الجزري (ت833هـ)، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلميَّة، ط1، 1420هـ - 1999م.

21. محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (ت711هـ)، لسان العرب، ج2، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1419 هـ-1999م.

22. محمد عيد، أصول النّحو العربيّ، في نظر النُّحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللّغة الحديث، ط4، عالم الكتب، 1410هـ-1989م.

23. محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللُّغة، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللّغة الحديث، عالم الكتب، دار الشرق الأوسط للطباعة، العطار وشركاه، القاهرة، 1988م.

24. محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النّحوي، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1999م.

25. محمود نحلة، أصول النّحو العربيّ، دار العلوم العربيّة، ط1، بيروت، لبنان، 1407م-1987م.